

الرسالة

(تيطس ٣: ٨-١٥)

يا ولدي تيطسُ صادقاً هي الكلمة وإياها أريد أن تقرّر حتى يهتمّ الذين آمنوا بالله في القيام بالأعمال الحسنة. فهذه هي الأعمال الحسنة والنافعة* أمّا المباحثات الهذيانة والأنساب والخصومات والمماحكات الناموسية فاجتنبها. فإنها غير نافعة وباطلة* ورجل البدعة بعد الإنذار مرةً وأخري أعرض عنه* عالمًا أن من هو كذلك قد اعتسف وهو في الخطيئة يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلت إليك أرتيماس أو تيخيكوس فبادر أن تأتيني إلى نيكوبولس لأنني قد عزمّت أن أشتّي هناك* أمّا زيناس معلم الناموس وأبلوس فاجتهد في تشييعهما متأهبين لئلا يعوزهما شيء* وليتعلم ذونا أن يقوموا بالأعمال الصالحة للحاجات الضرورية حتى لا يكونوا غير مثمّرين* يسلم عليك جميع الذين معي* سلم على الذين يحبوننا في الإيمان. النعمة معكم أجمعين. آمين.

مشيئة المسيح البشرية

تقيم الكنيسة المقدّسة في الأحد الواقع بين ١٣ و١٩ تموز تذكّاراً للأباء المجتمعين في المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية (٤٥١). وتحوز الصيغة التي وضعها الآباء خلال هذا المجمع أهمية فائقة في تاريخ الكنيسة الشرقية ولاهوتها. فلقد أكد آباء المجمع،

دحضاً للتعاليم المنحرفة التي قال بها كل من بطريرك القسطنطينية نسطوريوس والراهب المدعو أوطيخة، أن الكلمة المتجسد، يسوع المسيح، إله كامل وإنسان كامل من

طبيعتين وفي طبيعتين إلهية وبشرية، وأن هاتين الطبيعتين متحدتان في شخص المسيح من دون انفصال أو انقسام أو امتزاج أو تغيير.

هذا التعليم يستتبع أن يسوع المسيح يتمتع إلى جانب مشيئته الإلهية بمشيئة بشرية كاملة. فإذا كانت طبيعة المسيح البشرية تامة، ينتج من هذا أن له مشيئة إنسانية غير منقوصة.

ما هي أهمية هذا الكلام اللاهوتي المتعلق بمشيئة يسوع البشرية؟

الحق أن القرن الميلادي السابع شهد ضمن إطار الإمبراطورية البيزنطية تعليمًا منحرفًا ادعى أن في المسيح يسوع مشيئة واحدة، ما يؤدي، في نهاية المطاف، إلى نكران لمشيئة المسيح البشرية. هذا التعليم روج له الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١) وبعض خلفائه طمعاً في استمالة رافضي مجمع خلقيدونية، وكانوا في معظمهم من أقباط مصر وسريان أنطاكية، وذلك

العدد ٢٨/٢٠٣

الأحد ١٣ تموز

أحد آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكّار جامع احتفالي

لجبرائيل رئيس الملائكة

وأبينا البار استفانوس السابوي

اللحن الثالث

إنجيل السحر الرابع

صوناً للوحدة الدينية التي كان يهدد انفراط عقدها بتفسخ الوحدة السياسية في الإمبراطورية. الدفاع عن المشيئتين في المسيح، وتالياً عن وجود

مشيئة بشرية حقيقية فيه، انبرى له قلة من رهبان الشرق الذين كانوا قد فرّوا إلى الغرب، وتحديداً إلى قرطاج في شمال أفريقيا، بسبب الحملات الفارسية على الحدود الشرقية للإمبراطورية. أهم هؤلاء الرهبان كان صفرونيوس الذي أصبح في ما بعد بطريك مدينة أورشليم (٦٣٤-٦٣٨) وتلميذه مكسيموس الذي أطلقت عليه الكنيسة بعد موته لقب المعترف، يُضاف إليهما البابا مرتينوس الأول (٦٤٩-٦٥٥) أسقف رومية. وفيما مات صفرونيوس شيخاً طاعناً في

الإنجيل

(متى ٥: ١٤-١٩)

قال الربُّ لتلاميذه أنتم نورُ العالم. لا يمكن أن تخفى مدينة واقعة على جبل* ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة ليضيء لجميع الذين في البيت* هكذا فليضي نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السموات. لا تظنوا أنني أتيت لأحل الناموس والأنبياء إنني لم آت لأحل لكن لأتمم* الحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل* فكل من يحل واحدة من هذه الوصايا الصغار ويعلم الناس هكذا، فإنه يدعى صغيراً في ملكوت السموات. وأما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

إذا كان عالمنا هذا بمنزلة أواني الزراعة ومدينة المتاجر والأرباح وسفينة المسافرين فكيف لا نكون مستعدين لمواعيدنا مهتمين بودائعنا محافظين على فوائد الفضيلة. وإذا كان الشرط في دخولنا الملكوت أن يزيد برنا على الكتيبة والفريسيين، وأن نعلم الناس بالأقوال والأعمال، وأن نكون محبين لإخوتنا وأدين لأعدائنا، مسارعين

الجدل أن يسوع كان له مشيئة بشرية حقيقية أرادت، في بادئ الأمر، أن تتجنب الموت، وذلك لأن كل طبيعة بشرية تنكمش أمام الموت، ولا سيما طبيعة يسوع المنزهة عن الخطيئة. مشيئة يسوع البشرية دخلت، إذاً، في الجسمانية في نوع من التوتر مع مشيئته الإلهية الراغبة في أن يتابع يسوع مسيرته حتى الصليب. بيد أن هذا التوتر لم يبلغ حد التناقض. فالمشيئة البشرية عادت وأطاعت بملء إرادتها، أي بكامل الحرية التي تتمتع بها، المشيئة الإلهية، قابلة المضي إلى الألام والصليب. هكذا يتأكد في الجسمانية في لحظة نزاع يسوع وصيرورة عرقه كقطرات دم تتساقط على الأرض (لو ٢٢: ٤٤) أن لديه مشيئة بشرية حقيقية لا يمكن إنكار وجودها أو اختزالها.

ويؤكد القديس مكسيموس أن هذه المشيئة البشرية في يسوع حرة تماماً لكنها تختبر حريتها بالطاعة لله، كما في حادثة الجسمانية، لا بالتمرد عليه. هنا، ثمة فرق جوهري بين ما يسميه البشر الحرية الإنسانية والحرية كما عاشها يسوع. البشر يختبرون حريتهم بالتمرد. المراهق مثلاً يجد حريته في الانعتاق من سلطة أبيه. أما يسوع، ولكون إرادته البشرية غير مريضة بالخطيئة، فيختبر حريته المطلقة بطاعته المطلقة لأبيه التي بلغت ذروتها لحظة الصليب والموت. الحرية الحقّة، إذاً، هي تلك التي أظهرها يسوع، أي الطاعة لله. ينتج من هذا أن النموذج الذي كشفه يسوع لنا في حياته يدعونا إلى أن نغير ذهننا ونتبنى مفهوماً جديداً للحرية قائماً على الطاعة لله. في هذا يكمن معنى الطاعة التي يندر كل رهاب نفسه لها. فالطاعة الرهبانية ما هي إلا إعادة اكتشاف الحرية الإنسانية الحقيقية التي تستند إلى الطاعة

السن إثر تسليمه مدينة القدس إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، قضى كل من مكسيموس وأسقف رومية مرتينوس في النفي، وكلاهما لا يعرف إلى ماذا ستفضي المشادة اللاهوتية حول المشيئة، والتي دفعت الإمبراطور البيزنطي كونستانس الثاني (٦٤١-٦٦٨)، حفيد هرقل، إلى تشريد المدافعين عن المشيئتين في يسوع أو نفيهم أو قتلهم. المهم أن المجمع المسكوني السادس (٦٨٠-٦٨١) المنعقد في القسطنطينية أعاد الاعتبار لهذه السحابة من الشهود، صفرونوس ومكسيموس ومرتينوس، متبنياً كلامهم على أن المسيح يتمتع، انسجاماً مع تعليم مجمع خلقيدونية، بمشيئتين كاملتين، إلهية وبشرية.

ما أهمية القول بمشيئتين في يسوع وفي الدفاع، تالياً، عن مشيئته البشرية؟ المسألة، بكل بساطة، تتعلق بضرورة أن يكون يسوع شبيهاً لنا في كل شيء ومجرباً مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة (عبر ٤: ١٥). فإذا لم يكن ليسوع مشيئة بشرية تامة غير منقوصة، هذا يعني أن جزءاً من طبيعتنا البشرية، وهو جزء هام لكونه مركز الحرية فينا، لم يخلص. وهذا يعني أيضاً أن الإنسان يسوع لم يقبل على الموت بملء إرادته، بل كان مجرد آلة يتحكم بها الله. من هنا فإن النص الأساس الذي انطلق منه القديس مكسيموس المعترف، أهم المدافعين عن وجود المشيئتين لدى الإله المتجسد، هو بالذات نص الجسمانية (راجع مثلاً لو ٢٢: ٣٩-٤٦) الذي يسرد كيف تردد يسوع أمام الموت للوهلة الأولى طالباً من أبيه أن تعبر عنه كأس الصليب، ثم عاد فأطاع مشيئة أبيه قائلاً «لتكن مشيئتك، لا مشيئتي». هذا النص يثبت، في رأي القديس مكسيموس، بما لا يقبل

إلى طلب الصلح والسلام
مزيّنين ذواتنا بالكمال،
فكيف نكون هكذا كسالى
متهاونين ونحن نعلم انه
ينبغي لنا ويجب علينا أن
نكون عاملين معلمين
محبين لإخوتنا، مترجحين
في الفضيلة على غيرنا،
مجاهدين في تحصيل
الكمال المسيحي. ونعلم ان
لنا مع ذلك أعداء يلتزمون
قهرنا ويجتهدون في
سقوطنا. فلننبه عقولنا من
غفلة الكسل ونصرف
أنفسنا عن الانهماك
بالشهوات البدنية لئلا نجد
عدونا سبيلاً إلى قهرنا.
وإذا كان عدونا لا ينام
والمبغض لجنسنا لا يغفل
فلماذا لا نهى أسلحتنا
ونشيد أسوار مدينتنا ونقيم
عليها الحراس والإطلائع
والمجاهدين لئلا يهجم
علينا بغتة ونحن في غفلة
إهمالنا فيجعلنا ضحكة
للناظرين وعاراً أمام
المجاهدين. لأن أولئك
يأخذون إكليل المجد
وي فوزون بالخلود في
النعيم ونحن نطرد بجريرة
تهاوننا. وإذا كانت الكلمات
الردية تفسد الضمائر
السليمة كما قال الرسول
فينبغي لنا أن نهرب دائماً
من معاشرة الأشرار
والسكيرين والمستهزئين
وأمثالهم لأن الاختلاط بهم
واستماع كلامهم على
الدوام يجذب الأخيار
السليمة القلوب إلى التخلق
بأخلاقهم. وكما ان الذين
يجالسون العطارين وباعة
المسك والطيب العبقرة

المطلقة لله، فتأتي منسجمة ومشية
الله المعبر عنها في الإنجيل والتي
تترجم ذاتها عبر محبة الإخوة. وهذه
هي الطاعة ذاتها التي يطلبها بولس
الرسول من أهل أفسس (٢١:٥)
مخصّصاً بها النساء حيال أزواجهن
(٢٢:٥)، وهي بطبيعة الحال تتناقض
وطاعة التسلط التي ليست إلا تعبيراً
عن الطبيعة البشرية الساقطة. هكذا
يصبح تعليم الكنيسة عن مشيئة
يسوع البشرية نبراساً لأعضاء هذه
الكنيسة ومصباحاً يهتدون به
أعاشوا في الدير أم في العالم. التعليم
الكنسي عن مشيئة يسوع الإنسانية
هو البوصلة التي يهتدي بها
المؤمنون إذا ما أرادوا أن يطيعوا
سيدهم.

ما هو الإنسان؟

فيما يلي نص الكلمة التي خاطب
بها سيادة راعي الأبرشية
المتروبوليت الياس طلاب كلية
الصحة العامة في جامعة البلمند في
حفل تخرجهم الذي أقيم في ١ تموز
٢٠٠٣ في قاعة بتلوني:

« إن أحببتم الذين يحبونكم، فأني
أجرلكم؟ (متى ٥:٤٦)، وإن سلمتم على
إخوتكم فقط، فأني فضل تصنعون؟
(متى ٥:٤٧). وإذا أحسنتم إلى الذين
يحسنون إليكم، فأني فضل لكم؟ (لو
٦:٣٣).

«أحبوا أعداءكم، باركوا لإعنيكم،
أحسنوا إلى مبغضكم وصلوا لأجل
الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي
تكونوا أبناء أبيكم الذي في
السموات» (متى ٥:٤٤-٤٥).

«كونوا رحماء كما أن أبائكم أيضاً
رحيم» (لو ٦:٣٦).

ما هو الإنسان؟ سؤال طرح منذ
القديم وما زال حتى يومنا في ضمير
من يفكر في سيورة هذا العالم، وفي
أنهان أولئك الذين يؤثرون فيها.

ما هو الإنسان؟ أهو حيوان سياسي

كما قال أرسطو أو حيوان ناطق كما
قال هو أيضاً أو حيوان عاقل كما
نظر إليه الرواقيون والمدرسيون فيما
بعد؟ أم هو كائن يضحك؟ أو كما حدده
ديكارت يفكر: أنا أفكر إذا أنا موجود؟
أو يستنتج فيقرر؟ أو يعمل؟ أو يبدع؟
إذا ما أخذنا بعضاً من كثير.

الإنسان يشكل موضوعاً مقدساً
بالنسبة للإنسان كما قال المفكر
الرواقي Seneca في النصف الأول
من القرن الأول بعد مجيء الرب.
وسيبقى الإنسان لغزاً للإنسان ولن
يستطيع أحد إعداء معرفته وتحديد
بتعريف إلا إذا رآه بعيني الله. وعينا
الله تعرف الإنسان بالمحبة لأن الله
محبة. هذا الكائن (أي الإنسان) لا
يُدرَك إلا إذا التهمته المحبة.

الله يعرف مخلوقه ولكن الجهل،
مصدر تعاسة الإنسان وآلامه وقلقه،
موجود في سبب محبته لذاته
وانغلاقه في نفسه وعدم نموه في
الاتجاه نحو شبيهه، نحو أخيه.

يمكنني أن أعرف الكائن البشري
بقولي أنه الكائن القادر على المحبة،
الممثلة لإرادة المحبة. وأقصد الكائن
الذي يقبل أو يرفض، الذي يحوي في
داخله فسحة لسكنى قريبه فيه.

الإنسان قادر على أن يتجاوز نفسه
وبهذا الفعل يحيا حقاً، لأنه بتخطيه
حدود الفردية والأنا ينمو ويزهو
في مسمى الآخر أناه. الآخر هو نحن.

وجودي هو ما هو بوجود من هو
أمامي، وهو يؤكد حضوري، لا بل
يظهر حركتي وحريتي في الاتجاه
إليه أو في الانكماش عنه. لا حرية
بدون محبة.

هذه الحركة التي أحيها تبت في
الرجاء وتبعد عني كل يأس وتغذي
في القدرة على المثابرة والثبات في
ما أريد، كما أنها تجعل من الآخر
موضوعاً حياً محبوباً، مُحْتَضَناً،
فتمنحه الفرح والحياة.

الإنسان وُلد محبوباً لذا شعر

بالمحبة وافتقدها. الله وهبنا المحبة المولودة فينا لأنه أحبنا أولاً. وهذه المحبة ملك الآخر. إن انحصرت في ذاتك وسعيت إلى ما لنفسك، فما هذا إلا دليل على خوف باطني على وجودك، تظن أنك قادر على إزالته بذاتك، إلا أنك تكتشف، مع مرور الزمن، أنك تغرق في الوحدة والظلمة.

الخوف يزول عندما تقتحم حدود أخيك بالمحبة، ولا أقصد بالأخ شخصاً واحداً معيناً بل كل إنسان. المحبة هذه تأتي من نبع واحد هو الله. وبمقدار ما تقترب من الله تزداد المحبة فينا وتكتمل. بها نتجدد ونكبر. تبعدنا وتملأنا.

في المحبة ينمو الإنسان إلى الملاء، ينمو إلى ملء القامة الإلهية حيث يصبح الصمت كلاماً لأن الله فيه، والله إلينا كلمة. المحب لا يتكلم، لا يحتاج إلى كلمات لأنها في الصمت والطاعة تضحى حواجز بيننا وبين حضور الآخر فينا.

المحب الحقيقي يتجه نحو كل صوب. لا حدود لمحبهته. يحب كل إنسان، كل شيء، كل ما في الكون، لا يرى سوى الجمال لأنه يشرب من عين المحبة ويغتذي. ملؤه حب وحياته حب ولقاؤه حب. الحب يحييه وبه يميت كل ما يميت الحب. هنا لا فرق بين المحبة والحب. المصدر واحد والمياه الحية نقيّة صافية ينتعش بها كل من حصل عليها. هذا الحب أو المحبة يتعاضد بالحب الإلهي المنحدر علينا وبه نندفع ليكتمل الآخر.

هذا الحب المجسد في كل من قال جئت لأخدم لا لأخدم هو خدمة كلية مطلقة. الحب لا يبقى لذاته بل ينحدر على أقدام الآخرين ليغسلها، ليطهرها، ليجعلها سليمة.

مشكلة الإنسان اليوم هي عزلته. يَشُدُّ السعادة بوسائل شتى وكلها

تدخله في أعماق النفس سجيناً، منعزلاً.

ما أردت قوله أن السعادة الحقيقية تكون عندما تخرج من ذاتك وتصبح خادم المحبة عند أقدام الآخرين.

أمل أن تكون هذه رسالتكم وهذا ما تبتغون فتكون لكم الحياة أفضل. أسأل الله أن يبارككم ويبارك ذويكم وجميع من كان لكم خادم التضحية والمحبة.

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس الغيور يتراس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند الساعة من مساء السبت ١٩ تموز ٢٠٠٣ في كنيسة دير مار الياس بطينا، وخدمة القديس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢٠ تموز في كنيسة مار الياس في المصيطة.

من أقوال الآباء

+ سألو الأب مكاربوس قائلين: كيف ينبغي أن نصلي؟ أجابهم: لا حاجة لنا إلى كثرة الكلام، بل إلى أن نمد أيدينا إلى العلاء ونقول: يا رب ارحمنا كما تريد وكما تعلم. وإذا حلت بنا حرب نقول: أعنا. فهو يعرف ما نحتاج إليه ويعاملنا برحمة.

+ قال الأب مكاربوس: لن تموت إذا صار عندك الهزء كالمديح والفقير كالغنى والحرمان كالقنية، لأنه يستحيل على من يؤمن جيداً ويسلك بتقوى أن يسقط في نتانة الأهواء وخديعة الشياطين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

يكتسبون الروائح الذكيّة ينبغي لنا نحن أيضاً أن نلازم الحكماء والمعلمين وأرباب الفضيلة لنقتدي بمثالهم في الصالحات. ويا للعجب من كون الفضيلة حسنة عند جميع الناس والرذيلة قبيحة حتى عند الذين يفعلونها أيضاً. فإنك ترى السكرير مثلاً إذا رأى رجلاً سكران يستهزئ به ويضحك عليه ويستنقص عقله. فانظر إلى فاعل الرذيلة كيف يستقبحها مع ممارسته لها. لأن الله وضع في طبائع البشر حاكماً عادلاً لا ينظر إلى الوجوه ولا يأخذ الرشى وهو العقل الفاصل بين الفضيلة والرذيلة ليبيّن جمال هذه وقبحاها تلك فيكون الإنسان بلا عذر ولا حجة عند المداينة في اليوم الأخير. وإذا كان ربنا له المجد قد وضع قانوناً سهلاً يسيراً لخالصنا وهو أن نحسن إلى المسيء ونصفح عن المخطئ، وهو تعالى يصفح عن زلاتنا فماذا يكون عذرنا إذا لم نعمل بمثل ذلك؟ فإذا كانت القرابين لا تقبل مع الحقد وكذلك الصوم والصلاة وبقيّة الفضائل، وكان المغضب لأخيه باطلاً والقائل فيه قولاً رديئاً قد وعد بالعذاب في الجحيم فكيف تكون عقوبة الذين يُسيئون إلى اخوتهم الظالمين لهم والسالمين أموالهم والتاركين الاهتمام بمصالحهم؟

القديس يوحنا الذهبي الفم